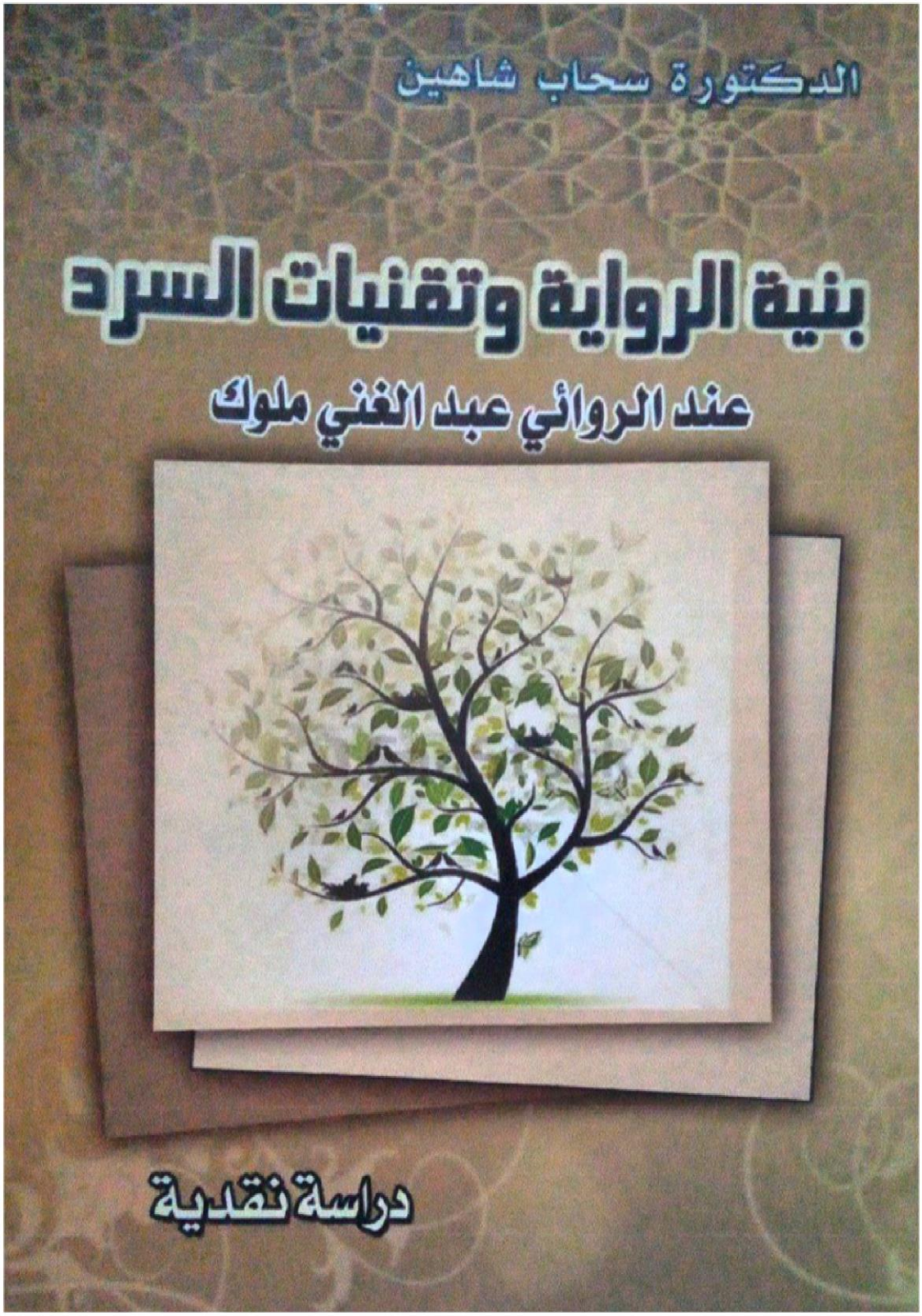
الدكتورة سحاب شاهين
بنية الرواية وتقنيات السرد
عند الروائي عبد الغني ملوك
دراسة نقدية

د. سحاب شاهين

بنية الرواية وتقنيات السرد

عند الروائي عبد الغني ملوك

دراسة نقدية

- بنية الرواية وتقنيات السرد

(دراسة نقدية)

- الدكتورة سحاب شاهين

- الطبعة الأولى 2017

-الحقوق محفوظة للمؤلف

دار الينابيع

لا يمكن نسخ أو اقتباس في أي وسيلة من وسائل التصوير الإلكترونية الفوتوغرافي أو اقتباس للفكرة في العمل السينمائي أو التلفزيوني دون الحصول على إذن خطي من المؤلف .

المقدمة:

الأديب عبد الغني ملوك كاتب وروائي من مدينة حمص في سورية، بدأ حياته العملية ضابطاً مطلباً في الجيش العربي السوري، فقد تخرج من الكلية الحربية عام ١٩٦٨، وأجرى عدداً من الدورات القيادية واشترك في حرب تشرين، وتال العديد من الأوسمة، وعمل محاضراً ومدرباً في الكلية الحربية مدة عشر سنوات، ثم استقال من الجيش ليتفرغ للدراسة القانون في جامعة دمشق، ونال إجازة في الحقوق، ثم انتسب إلى نقابة المحامين في حمص ونال درجة الأستاذية في القانون عام ١٩٨٧، ومارس مهنة المحاماة مدة تجاوز (٢٧) سنة.

كتب القصة منذ عام ١٩٦٤ ، ثم تفرغ لكتابة الرواية منذ عام ٢٠٠٨، وأصدر عدداً من الروايات

وهي:

- أواخر الأيام، قيد الطبع.

- السوسن البري.

- الثلاثية :

- مجامر الروث.

- في قبو الدير اكتشفت الخبايا المذهلة.

- الحب في زمن التحولات المدهشة.

- أحلام الذئاب

- مرايا النهر وهي عبارة عن مجموعة من القصص القصيرة في قالب روائي.

- رواية لم تنشر بعد وهي: المعجزة أو (جسر على نهر جاف).

- ولديه روايتان قيد الطبع.

والدراسة ستتناول ثلاثيته بأجزائها الثلاثة ورواية السوسن البري ورواية أحلام الذئاب، متجاوزة مرايا النهر؛ لأنه يغلب علها طابع القصة القصيرة ومقوماتها وبنيتها الفنية، بينما يتناول البحث البنية الفنية لروايات الكاتب، وأما الروايات الباقية فلم تنشر بعد.

وسيتناول البحث دراسة الزمان والمكان والشخصية بنيويا في ثلاثيته وأجزائها، ودراسة اللغة والبرد في السوسن البري ودراسة الحدث في أحلام الذئاب وفق المنهج البنيوي.

تمتاز رواياته بكثافة الأحداث وتلاحقها مع الاهتمام بالتفاصيل، فرواياته تحاول بناء عالمها الخاص وفق رؤية الكاتب وموقفه من العالم والذي يجد الخير والإنسانية والعطاء ويدعو إلى السل والأخلاق على الرغم من تسليط الضوء على الكثير من الجوانب السلبية والمفاسد والتجاوزات التي لا تقصد لذاتها لتكون وسيلة للإسفاف وإنما بوصفها صورا ومشاهد تعكس جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فتمري الفاسد، وتكشف المتحرف لتدعو إلى السيل القويم، وتجند شخصيات يكون دورها مديد العون للآخرين لمسيرهم فى الطريق الصواب.

ويؤكد الروائي عبد الغني ملوك أنه يستمد معظم أحداثه من الواقع ومن حكايات وقصص جرت في الحياة، ومنها ما شاهده، ومنها ما سمع عنه، على الرغم من أن دراستنا هذه لا تهتم بواقعية الحدث ولا بمرجعيته التاريخية والاجتماعية ولا تربطه بحياة الكاتب : لأن المنهج البنيوي يسلط الضوء على النص فقط منقطعاً عن أية مرجعية أخرى.

لذلك ستقدم هذه الدراسة تحليلاً للنصوص الروائية بوصف النص الروائي كياناً منغلقاً على نفسه، له زمانه ومكانه وأحداثه وشخصياته التي تبنيها اللغة بوصفها أداة تخيلية تقدم عملاً قائماً بذاته ونصاً مكتفياً بقوانينه، ولا تربطه بالمرجعيات الخارجية. إن البنيوية منهجية ونشاط وقراءة وتصور فلسفي يقصي الخارج والتاريخ والإنسان وكل ما هو مرجعي وواقعي، ويركز فقط على ما هو لغوي ويستقري الدوال الداخلية للنص دون الانفتاح على الظروف السياقية الخارجية التي قد تكون أفرزت هذا النص من قريب أو من بعيد.

وهذا التحليل عبارة عن مقاربة نقدية للنص الروائي، والمقاربة هي التحليل الجزئي وليس الكلي للنص الروائي، وهذا التحليل يتطلق من فرضية تقنية هي الحاجة إلى تحليل الجانب الفني البارز في النص وإغفال العناصر الأخرى فيه ، لذلك تم اختيار عنصر فني من رواية أحلام الذئاب، وعنصرين فنيين من رواية السوسن البري لتحليله أما الثلاثية فقد تم تحليل ثلاثة جوانب هي الزمان والمكان والشخصية التي تمثل بمجموعها عناصر بارزة تغطي بنية هذه الأجزاء الثلاثة.

إن الهدف من الدراسة البنيوية هو دراسة النص داخليا بوصفه وحدة كلية مستقلة تؤلف مجموعة

معطيات تخضع للتحليل ولا يفترض التحليل النقدي البنيوي خروجاً إلى سيرة المؤلف الذاتية. إذ ينحصر التحليل البنيوي ضمن معطيات النص مكتفيا بالتحليل الداخلي فقط ليكشف عن عناصر النص الأدبي ولينظر في العلاقات التي تربط بينها) .

إذاً، سيقدم البحث مقاربة نقدية بنيوية لروايات الكاتب للوصول إلى بنية العمل الروائي عنده وإلى أبرز الخصائص الفنية التي اتبعها وإلى أسلوبه في تقديمها وإلى التقنيات التي يقوم عليها النص الروائي عنده.

والله الموفق

د. **سحاب شاهين**

في عملية المعرفة الفنية : أي (الرؤية الفنية) ضمن ظروف الجنس الأدبي، يبدو المكان والزمان شكلين ضروريين لأبسط إدراكاتنا وتصوراتنا، في علاقات الزمان تتكشف في المكان والمكان يدرك ويقاس بالزمان. هذا التقاطع بين الإنسان والمكان وهذا الامتزاج بين العلاقات هما اللذان يميزان الزمكان الفني.

ويختلف اهتمام الروائيين بالعناصر الفنية، ولذلك تبرز بعض العناصر أكثر من الأخرى. وقد أولى الروائي عبد الغني ملوك المكان في ثلاثيته عناية واهتماماً يتجلى في تصويره للمكان والعلاقات المكانية التي تمهد لاختراق الشخصيات له ليعكس أثره ودلالته وبعده الأيديولوجي (إن المكان بقعة سيميولوجية ذات دلالات متنوعة، وبخاصة في الرواية التي تتعدد فيها الأمكنة وتنتقل فيها الشخصيات من فضاء إلى آخر)".
فالمكان عنصر ضروري لبناء الرواية، يؤثر في أحداثها وشخصياتها، مما يؤدي إلى فهمها ويؤثر في بنيتها وصفاتها. وتبنى أبعاد المكان على قطبين أساسيين هما المساحة والاتجاه، فالمساحة تتحدد من المسافة والاتساع والحجم)، والاتجاه يتحدد من الأعلى / الأسفل الشمال اليمين الأمام الخلف)، وهذا يشكل ثنائيات ضدية مشتقة من الأبعاد أو الحركة أو الاتصال أو الاستمرار أو الإضاءة أو الظلام وغيرها من التقاطعات التي تتكامل فيما بينها لتقدم لنا مفاهيم متعددة تساعد في فهم كيفية التنظيم واشتغال المادة الحكائية، وهذه الثنائيات هي من نوع (قريب)

بعيد، محدود لا محدود جامد متحرك، اتساع / تقلص جذب / إقصاء، منفتح / مغلق داخل خارج، استمرار انقطاع، تعدد وحدة مسكون / مهجور، مضاء مظلم أبيض / أسود) إلى وإلى غير ذلك ، ومن خلال الاهتمام بهندسة المكان (هندسة الشكل، هندسة التنظيم، هندسة التلاعب تتبين طريقة الكاتب في بناء المكان في النص وذلك من خلال الإشارات وتخير العناصر التي تشكل المكان فتدل على الانتماء الطبقي لساكنيه والانتماء العصري والبعد الحضاري للشخصيات، ومن خلال الإشارات الجغرافية وترتيب المكان وتزيينه والتعامل معه، حيث يجسد الكاتب البعد الأيديولوجي للمكان من

خلال استعماله وتوظيفه وإدراك دوره في بنية النص ؛ لأن الأدلجة تشمل كل تقنيات بناء المكان وأبعاده ليوظف في بنية النص الكبرى من خلال توظيفه بوصفه وعاء يجمع شتات النص ويربط وحداته وعناصره، وبوصفه بشكل عنصر إثارة للمشاعر المختلفة تجاه المكان من قلق وخوف وأمان وراحة وغيرها، ويوصفه يمثل جزءاً من رؤية الكاتب للعالم".

إن المكان مهم في تكوين الإنسان وسلوكه له قدرة فاعلة تشكل وتضيف وتخلق وتعدل وتلغي (إن المكان الروائي يصبح نوعاً من القدر، إنه يمسك بشخصياته وأحداثه ولا يدع لها إلا هامشاً محدوداً من الحركة)".

ولا بد من التمييز بين المكان الحقيقي والمكان الروائي، فالمكان الحقيقي خارجي محسوس والثاني لفظي تصنعه اللغة الحاجات التخييل وأهدافه الفنية. وبعض الروائيين ينزع إلى الإيهام بحقيقته، ومن الخطأ اعتبار المكان الروائي مكاناً حقيقياً ؛ لأن المكان الروائي محكوم بقدرات الروائي التعبيرية وبحاجات البناء اللغوي التخييلية للنص من تركيز وتكثيف واختيار واختبار ووصف وتصوير إيحائي، وليست محكومة بمعرفة المكان الحقيقي ؛ لذلك فإن تسمية الأمكنة بأسماء حقيقية هي محاولة للإيهام بصدق المسرود وواقعيته، في حين أن النص الروائي إعادة خلق للواقع بوساطة اللغة الروائية فإن حملت الأمكنة أسماء حقيقية فإنها تبقى أمكنة تخييلية صورتها اللغة، قسمة المكان لا تكمن في اسمه وإنما في كونه فضاء روائياً له دلالة داخل النص تستمد من ساكنيه الذين يتحركون فيه ويخترقونه ويؤثرون فيه ويتأثرون به ليصبح عنصراً فاعلاً في بناء النص من حيث بناؤه وهندسته وأبعاده وتفاعله وأيديولوجيته

وأثره وتأثره بالأحداث والشخصيات. فالمكان صورة لغوية في النص، لا تجد الواقع بكليته بل تجد أجزاء منه تخدم النص وترتبط بمنظور الراوي وبقدرات الروائي التعبيرية وبأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها من خلال اختراق الشخصيات للأمكنة وتفاعلها معها ومع الأحداث.

ولا بد للمكان أن يرتبط بتعالقات بنيوية مع عناصر النص الفنية الأخرى ليعكس وعي الكاتب لدوره في بناء النص.

تتعدد الأمكنة في هذه الثلاثية التي تقدم وصفاً متنوعاً لها يشكل بمجموعه فضاء النص الذي يتلاءم مع الأحداث والشخصيات ويعكس الدلالة والرؤية التي يريد الروائي إيصالها ضمن سياق الحكي.

تجري الأحداث بين سورية ولبنان والعراق ورومانيا. ويقدم النص مجموعة من الأمكنة التي تشكل معاً فضاء الثلاثية الروائية، فهناك أمكنة سورية وأمكنة لبنانية وأمكنة عراقية تربط بينها علاقات متبادلة من خلال اختراق الشخصيات لها ودوران الأحداث خلالها، وقد يقدم الوصف متداخلاً مع السرد أو الحوار أحياناً، فيقدم صورة المكان من خلال السرد والوصف والحوار والتصورات والحالات الشعورية.

بناء المكان في الثلاثية:

وصف الأمكنة:

لقد قدمت الثلاثية صورة المكان من خلال الوصف الذي لم يقتصر على الأغراض التزيينية بل اهتم بالوظيفة التفسيرية للوصف باعتباره مكوناً رئيساً من مكونات الرواية، وباعتبار الوصف مدخلاً لبث الحياة في النص وبيان أثره في الأحداث والشخصيات، حيث كان وصف المكان تمهيداً لاختراق الشخصيات له، هذا الاختراق الذي يحدد العلاقات المتبادلة بين الشخصيات والأمكنة التي عاشت فيها إن الوصف وسيلة الروائي لتصوير المكان وبيان جزئياته وأبعاده".

إن التدقيق في العلاقات المكانية المتبادلة بين الشخصيات وأثرها في الأحداث يقود إلى تشكيل الفضاء الروائي ولا بد من ربط الأمكنة والأحداث من خلال منظور الشخصيات ووجهات نظرها ؛ لأن الوصف الذاتي يمهد لاختراق المكان، والوصف الذاتي (هو المعبر عن الحال الشعورية للشخصية الروائية) "

إن تعدد الأمكنة سوف يفسح المجال لتقديم وصف غني متنوع يؤدي دلالة ضمن الحكي.

ففي الجزء الأول (مجامر الروث):

تتطلق الأحداث من دمشق مع ياسر الخوخة الشخصية الرئيسة في الرواية الذي يسكن في شقة مؤلفة من ثلاث غرف قريبة من الجامعة في الحلبوني، بينما بيتهم الرئيس عبارة عن دارة فخمة في المالكي يتعارف هو وسارين ويتحابان ويخرجان يوماً في نزهة إلى نبع بردى (كان المكان ساحراً، والتبع بارد صافو، يخرج من بين صخور صماء، ليشكل بحيرة صغيرة قامت حولها بعض المقاهي والمطاعم جلسا إلى طاولة على حافة الماء كانت الأشجار تظللهما والعصافير تتقافز من الحصن إلى الحصن فوقهما)١ ، زارته مرة في شقته الصغيرة وقادها إلى لغرفة الضيوف واسعة وبسيطة في الوقت ذاته لكنها أنيقة ومفروشة بالأرائك المريحة الملونة بالأصفر الفاتح والأبيض على خلفية جدران بلون الكيوي الأخضر، وقد زينت الجدران باللوحات الزينية البديعة٢. وبعد زواجهما وانجابهما ولدين في هذه الشقة قررا استئجار شقة في حي الروضة ولم يشاءا السكن في فيلا والده في المالكي أو في شقة كبيرة يملكها والدم في حي المزرعة (بعد البحث عشر على دار أرضية واسعة يحيط بها حقيقة فيها أشجار معمرة مع مرج تتخلله زهور وعريشة ياسمين وشجرة ليمون)

وياسر هو ابن رجل برجوازي، لكنه انضم إلى حزب يساري، وذات ليلة بعد عودته مع سارين من المطعم فرع مزيد الخشن بابهم وأخبره أنه ملاحق من رجال الأمن وقد أطلق النار على أحدهم، وأنهم قادمون للقبض على ياسر ؛ لأن ابن عمه يونس زعيم الحزب قد وشي به بعد أن الحرف وانشق عن حزبه ووالى السلطات، فهرب ياسر ومزيد عبر أسطح المنازل ونزلا إلى دار المؤذن رضوان القلموني المنتمي إلى حزب ديني زعيمه مصعب الأردغلي الذي انشق عن حزبه والتحق بالحزب الحاكم وأصبح مديراً للأوقاف، وكانت داره (عبارة عن دار قديمة مبنية حسب طراز تلك الأيام فيها صحن الدار الواسع وتتوزع أبواب الغرف على الجوانب بينما كانت الأرض مبلطة بحجارة بازلتية زرقاء، وكان في منتصف صحن الدار حوض ترابي كبير على شكل مستطيل فيه شجرتان كبيرتان ونباتات وورود ٤". وقد ساعدهما في السفر إلى لبنان وزودهما بكتاب توصية الإمام مسجد التقوى الشيخ حامد الأغبر الذي استقبلهما ودلهما على بانسيون في بيروت الشرقية اسمه بانسيون المحبة لصاحبته مدام جورجيت،

وأوصلهما سائق هو أبو أرز، وهناك حصلا على غرفة ودخلا غرفة الطعام كانت قاعة واسعة تحوي العديد من الطاولات المرصوفة بشكل متناظر وعلى كل طاولة كرسيين من الألمنيوم الفضي والمقعد الجلدي الأحمر بيما كانت الطاولات صغيرة الحجم نسبياً ومطلية باللون الأبيض المائل للكريم وعلى كل طاولة إبريق ماء وكأسان ومزهرية صغيرة بضمنها وردة ربما قطفت تلك الوردة من الحديقة١. استقرا في البانسيون وعرفا بعض المقيمين، وكان ياسر يتردد على مسجد التقوى ويلتقي الشيخ حامداً ويصلي مع أنه أقرب إلى الإلحاد (ثم وجد نفسه عند صنبور الماء يقوم بالوضوء، وعندما فرح حمل حذاء ودخل المسجد حتى وصل المحراب لم يكن الشيخ قد حضر بعد فجلس مستنداً إلى عمود ضخم مكسو بالرخام الأبيض عندما شعر بطاقة روحية تغمره بارتياح لم يكن ليعرف مصدره ٢ أما مدام جورجيت فقد وجدته شبيهاً لابنها المقتول، فأحبته كام، ودعته إلى تناول العشاء في شقتها المتفرعة عن البانسيون وقادته من باب جانبي قدلها إلى ممر قصير أدى بهما إلى موزع واسع عالي السقف مستطيل الشكل، فانفتح المكان على جناح مستقل بل عن شقة واسعة تضم غرفاً أربع تتوزع على أضلاع ذاك البهو المستطيل، وفي الجانب الأيمن

عمر يؤدي إلى المطبخ والحمام والمرافق الأخرى، شاهد مندهشاً كل ذلك وأعجب بالحديقة الخلفية والتراس المسقوف الذي يؤدي إليها ٣، أما غرفة الطعام (قادته إلى غرفة واسعة فيها طاولة سفرة ضخمة مزخرفة ومحفورة الجوانب والقوائم فيها أقيال وجنود كأن ذلك يجد إحدى المعارك، وكان حول الطاولة ثمانية كراس محفورة أيضاً بينما كان غطاء أنيق فوق بلور الطاولة توزعت حوله صحون وكؤوس ولاحظ لوحة زيتية في صدر الغرفة ٤"، وفي هذه الدار قتل زوجها وولدها أثناء الحرب الأهلية في لبنان بسبب انتماءاتهم الحزبية، وكان زوجها طبيباً ميسوراً، وقد طلبت من ياسر أن يحضر زوجته وولديه ليقيموا في جناحها الخاص وأعطته المفتاح، لكن السلطات لم تسمح لزوجته وولديه أن يعبروا الحدود لأنه مطلوب بعد موت الشرطي الذي أطلق عليه مزيد النار، فأصيب بصدمة، ثم عشر له الشيخ حامد على عمل في مكتبة ضخمة وحاول متابعة دراسة الماجستير والدكتوراه وتأليف كتاب ومرت عشر سنوات حصل خلالها على هوية مزورة من خلال أبي أرز ودخل سورية للقاء زوجته وأولاده ووالده ولرؤية والدته المريضة التي كانت على وشك الموت والتي توفيت بعد قدومه بثلاثة أيام، ثم عاد فاراً إلى لبنان فقد كاد أمره ينكشف، أما والده فقد أخذ يعنى بولديه بعد

انشغال والدتهما بالعمل والسعي وراء المناسب، وقد ترك أمواله لابنه زهير الذي تعاون مع ابن يونس الخوخة ابن عمهم وزعيم الحزب المنشق، وقد استغل زهير توكيل والده

فأخذ كل أمواله وأموال ياسر وطلق زوجته وتزوج ابنة يونس الخوخة، وأما صاحب المكتبة فقد مات وباع ولداء المكتبة فعمل ياسر محرراً في صحيفة أنطوان شركس انبلاج الفجر) ونشر كتابه، والتقى جويل الناصوري التي كانت زميلة في المكتب والحائزة على دكتوراه في الاقتصاد السياسي من موسكو وزوجة كاتب جريء لقي حتفه بقنبلة وضعت في سيارته. أما سارين فقد طلبت الطلاق غيابياً وحصلت عليه بعد أن أغروها بالمناصب وأوقعوها في شباك

تاجر مخدرات علمها شرب الخمر وتعاطي المخدرات وأقام معها علاقة وقادها إلى الانحراف والسجن، وقد تخلت عن ولديها، أما عمهما زهير قباع كل أملاك والده وحول الأموال إلى رومانيا وترك والده لمصيره وقد أصابه الضعف والمرض والكبر فقرر ولداه الذهاب إلى العراق للقتال والجهاد، وعندما عرف جدهما بالأمر شلت قدماء، أما زهير فعالجه أسبوعاً في مستشفى ثم أدخله دار العجزة لقاء مبلغ سنوي، فدفع عن سنة وسافر، ووصل أمر التفريق إلى الشيخ حامد وياسر الذي حزن، لكنه لم يعلم أخبار والده وولديه، ثم صدر مرسوم عفو عام في سورية عن كل المحكومين السياسيين، وحين تأكد ياسر أنه يشمله ذهب إلى دمشق وعرف ما حل بأبيه وولديه وزار قبر أمه، وعلم بسجن طليقته، وأخذ والده وعاد إلى بيروت فعالجه، وأنس الأب بالشيخ حامد وبمدام جورجيت، وكان قد وضع مبالغ في مصرف سويسري لم يصل إليها زهير فاستأجر دكاناً وبدأ مشروعه التجاري بمساعدة مدام جورجيت التي أصبحت زوجته وعاد ثرياً في وقت قياسي.

أما ياسر فكان قلقاً على ولديه ومؤرجحاً بين زميلته جويل وبين خزامي بنت الشيخ حامد وقرر أن يذهب إلى العراق للبحث عن ولديه، فوافق على عرض صاحب الجريدة أنطون شركس الذي يتضمن تغطية أخبار فضائية في العراق، فذهب في بعثة

تلفزيونية مع جويل وأبي وأرز وآخرين وتوجهوا إلى العراق ساعين إلى المنطقة الخضراء في بغداد

أما الجزء الثاني في (قبو الدير اكتشفت الخبايا المرعبة):

فيكون فيه للدير دور فاعل بالغ الأثر في أحداث الجزء الثاني والثالث من الرواية، وقد ظهر الاهتمام واضحاً بهذا الخبز المكاني الذي تجري ضمنه الأحداث، من الإشارة إليه في العنوان حتى يصبح الدير بطلاً فاعلاً ومحركاً للأحداث، قدم له وصفاً مسهباً مع اهتمام واضح بالجزئيات ومع تغيير المواقع النظر للمكان الواحد، كمصور سينمائي يختار زوايا متعددة للقطاته محاولاً من خلال اللغة الوصفية أن يقدم بعناية واضحة صورة لهذا الدير وأجزائه وما يحيط به، وأحياناً يقدمه من خلال رؤية شخصياته، فيقدم صورة تتحاور فيها الطبيعة الجميلة مع المكانة المهيمنة للدير بوصفه المكان الذي يقود ويحرك عمليات المقاومة في العراق. تبدأ أولى الإشارات المكانية في الجزء الثاني بوصف نهر الفرات كان يجلس في شرفة الفندق متأملاً النهر والزمن نهر الفرات العظيم، بدا هادئاً يسير بثقة إلى هدفه الأبدي، لكنه لم يستطع أن يملأ البحر فيتخمه

كانت المقاهي متناثرة على ضفتي النهر، وأغلب الرواد من العراقيين الذين لجؤوا إلى سوريا طلباً للأمان وهرباً من جحيم المعارك أو من مفاجئات.

السيارات المفخخة ، ثم يورد عدة إشارات مكانية إلى مواقع في دير الزور مثل الفندق أو السوق الحج، ثم عدة لقطات تصويرية للطريق إلى العراق (وما زال الركب على طريق إسفلتية مهترئة ضيقة حتى شاهدوا السيارات المعروفة والمحطمة على جانبي الطريق، فوجئوا بدمار هائل وبقايا هياكل عظمية محترفة لبشر، كان دماراً لا يمكن تخيله لكل مظاهر الحياة وكانت أشجار النخيل أيضاً قد أحرق معظمها في مزارع كانت تنتج خيرات، (ووصلوا البلدة التي تهدم الكثير من بيوتها، كانت بمعظمها بيوتاً طينية، القسم القليل منها إسمنتياً من طابق واحد، وبعضه من طابقين، وفيها آثار دمار هائل، وشاهدوا سوقاً واسعة الخردوات مناثرة ومرتجلة الترتيب كاشة في وسط البلدة، ثم تابعوا طريقهم حتى وصلوا إلى الدير الذي يبدو مهجوراً (يحيط بالدير مزرعة كبيرة

وفيها تخيل وزيتون وكرمة عنب، ويمر بقربها فرع من نهر، لكن الدير والمزرعة لم يكونا مهجورين تماماً، وقد كان المكان يستخدم الأغراض غير ما خصص له بالأساس فقد استلم المزرعة والدير كاهن لم يشأ أن يغادر بقي في الدير لحراسته والأشياء أخرى ، هذا الراهب يدعى أنطون النهري له علاقة مع مسؤول أمني عراقي هو جبور القناقي، حين وصلوا وضعوا السيارات في المرأب وساروا (حتى وصلوا إلى مكان كأنه كنيسة، ودخلوا قاعة كبيرة أمامها المذبح فعرفوا أنهم في كنيسة حقيقية لكنها مهجورة، ومن مدخل قرب المذبح عبروه، قادهم إلى صالون كبير مفروش ومضاء ، (في الدير غرف كثيرة كانت مخصصة للنساك والرهبان والزوار، بعضها مفروش بالأسرة، وبعضها الآخر للجلوس أو الطعام ، في الصباح، أول من استيقظ أبو أرز كانت العصافير تزقزق واليمام يتوغل على أغصان الزيتون والكرمة والتخيل الجو صافٍ وهادئ والمزرعة كبيرة في حقيقتها، لغاية من كثرة الأشجار وتكالفها، ويبدو أن نهراً قريباً أو فرعاً من نهر يمر بقربها. وقد لمس أبو أرز ذلك بالرطوبة الزائدة وتخرير الماء المسموع بهدأة المكان، أما المغارة التي تصلح لإخفاء السيارات فـ هي عبارة عن قبو كبير مسقوف بالإسمنت المسلح، فيه دنان النبيذ، وكانت تدخله السيارات لإفراغ الحمولة أو نقل البراميل الخشبية المملوءة إلى بقية الأديرة، ذلك أن هذا الدير كان يصنع النبيذ من العنب أو البلح ويخمره ثم يوزعه على بقية الأديرة في تلك المناحي "، ويعرض ياسر على جويل جولة (ما رأيك بجولة في هذه الغابة. فقد قيل إن جدولاً يمر بها من الجهة الغربية، يمر بانكسار فيشكل تساقط مياه ثم يصب في تجمع أشبه ببحيرة ، فتمشيا في الغابة وسط الأشجار والعرائش وتابعا السير حتى وصلا إلى النهر لم يكن جدولاً بل كان نهراً يتبع من الأعالي، وينحدر إلى تلك الأرض ثم يصب في بحيرة نبت حولها القصب وأحيطت بأشجار مزهرة بالليلك والبنفسج، أخذا بالمنظر فجلا على صخرتين ناهضتين، ثم سبحا وعادا الحضور القداس والموعظة. ثم وصل جبور القناتي الذي كانت له غرفة في الدير واسعة لا يدخلها أحد سواه (وكان في تلك الغرفة الخاصة برئيس الدير سرداب يفضي إلى ممر سري تحت الأرض يمر بقبو النبيذ ومنه أيضاً يتابع إلى خلاء الدير الواسع. ربما فوهة السرداب النهائية تصل قريباً من النهر، وكان هذا الممر السري الذي بني منذ مئات السنين كان يستخدمه الرهبان في حال

الخطر أو الاختباء أو حتى الهروب إذا هوجموا من أعدائهم ، وقد اكتشف أبو أرز أن مستودع النبيذ هو مستودع للذخيرة وهناك سرداب (فاستمر في التوغل بالسرداب، حتى عشرات الأمتار، في نهايته لمح بصيص ضوء فاتجه نحو الضوء وكانت هنا أرض السرداب صاعدة، ثم وجد نفسه يخرج للضوء كان قد أتعبه الظلام، لما رأى النور وضع يده على عينيه وتشمم هواء له رائحة العشب الطازج. كان قريبا من شاطئ بحيرة يرفدها نهر وفي وسط البحيرة زورق يتهادى فهم أبو أرز الموقف تماماً وعرف أن مكان الكنيسة أمن ومدروس وأنه مقر جيد للمقاومة العراقية ".

انطلق ياسر وجويل والبعثة التلفزيونية باتجاه المنطقة الخضراء في بغداد ووصلوا إلى قاعات البث ومكاتب البعثة تتألف المكاتب من غرفتين للبث وثلاث غرف للإقامة مفروشة بأسرة وحزن صغيرة وبعض الأدوات الأخرى من منافع ومطبخ ". أما أبو الحارث ومساعده فتوجهوا إلى حي الرشيد حيث تقطن خالته بديعة بيتنا من طابقين: الطابق الأرضي عبارة عن "حوش" مستقل بأربع غرف وحديقة كبيرة، وبابه كبير يمكن إدخال الدراجة منه إلى الدار " واستقرا هناك وطلب من ابنة خالته سعاد أن تساعد في تصوير الأحداث خارج المنطقة الخضراء، وحين أصيب أبو أرز ساعدت سعاد في تمريضه وحصل تقارب بينهما وصارت تقدم له كتباً من مكتبة والدها ليقرأها ، وبدأ الحب بينهما، وعلمته التصوير، وصار يكتب الشعر، ثم عمل معها في التصوير ورصد عمليات المقاومة، وحققا إنجازات عظيمة الفضائية أنطون شركس عاد ياسر وجويل إلى الدير وحصل تقارب بينهما وتجولا في حديقة

الدير ونزلا السرداب قال لها :

- ما رأيك تذهب إلى فتحة قبو النبيذ والدهليز المؤدي إليه ؟

أتعرف مكان فتحة السرداب ؟

- أكاد أتذكر، فقربها كانت شجرة كينا وحيدة، لتحاول.

وذهبا إلى اليمين للبحث، فلما وصلا شجرة الكينا الفريدة قال :

- أظن أننا على بعد أمتار قليلة من مدخل السرداب

عثرا على كومة من الأغصان اليابسة، فأزاحاها ووجدا فوهة الدهليز، قال :

هذه هي الفتحة، لتعبرها وتدخل.

- إني خائفة، وليس من فائدة لنزولنا في السرداب

مسلمين الفائدة، وتكتشفين الغاية.

وأنزلها قبله، ثم تبعها وأعاد الأغصان فوق الفوهة كما كانت.

نزلا في السرداب واستخدما مصباح إضاءة كان المكان يوحي برهبة وخوف، فالتصقت به.

وقالت : لنعد

أمسكها من خصرها وجذبها إليه بقوة، وفي الظلام اهتدى إلى شفتيها بسهولة وكانت قبلة طويلة .

وهناك طارحها الغرام، وخرجا من السرداب، وأخفيا الفتحة جيداً بالأغصان ودخلا الدير فوجدا القناص الذي أخبره أنهم عثروا على ولديه فبكي من شدة الفرح، وعلم أنهما يعملان على الشبكة العنكبوتية في قسم الإعلام ولم يحملا سلاحاً أو يقاتلا بل جاهدا يعلمها وساعدا بنشر الوقائع ودحض الافتراءات.

أما سعاد وأبو أرز فقد ألقي القبض عليهما أثناء تنفيذ مهمة لهما، وتعرض أبو أرز للتعذيب، وضربه المحقق على مؤخرة رأسه بكعب مسدس فغاب النور عنه وفقد قدرته على النطق، فلما راء المحقق ساكناً ظنه يعاند ويصر، فجاء بسعاد مقيدة يقودها جندي أسود البشرة أمره المحقق باغتصابها على مرأى من أبي أرز الذي كان يبكي ويئن ولا يستطيع الكلام إضافة إلى كونه مقيداً لا يستطيع الحركة ففقد الوعي، أما سعاد التي اغتصبت بوحشية مع تمزيق للحمها فقد غابت عن الوعي أيضاً. احتاط أبو الحارث فأبعد خالته إلى شرق بغداد حيث جاءت عصابة مسلحة اغتصبت النساء والأطفال وذبحتهم أمام الرجال ثم ذبحت الرجال وأحرقت الجميع وتهيت كل شيء. أما بديعة فقد اختبأت في بئر فتحت فأخذها أبو الحارث إلى الدير. طلب ياسر من إدارة السجن تسليمه أبا أرز، أما القناص فقد وضع خطة مع أبي الحارث لتحرير سعاد من مستشفى السجن وأخذاها إلى الدير. وهناك التقى ياسر ولديه اللذين جلبهما القناقي، وقرر ياسر أن يعود مع أبي أرز وولديه إلى بيروت، أما جويل فستبقى مدة لتدريب البعثة البديلة ثم تلحق بهم، ووعد القناقي بإرسال سعاد وأمها إلى بيروت

وصل ياسر مع ولديه إلى بيروت، وفرح به أبوه ومدام جورجيت كثيراً، وقد أصبحا زوجين، وتقاعدت مدام جورجيت وأنهت عملها في تأجير الغرف، ورحمت الدارة فلم تعد بانسيوناً.

وأصر ياسر على أن يقيم أبو أرز معهم، وعرضوه على الأطباء، ولقي عناية من الشيخ حامد. وعرف ياسر من الشيخ حامد نبأ موت زهير ويونس الخوخة بحادث طائرة، وعلم أن الثروة عادت إليه وإلى أبيه، وأما القناقي فقد لقي جويل في الدير وعرض علها مشروعاً مشتركاً وهو أن يودع أكداساً من الأموال والدولارات باسمها وينشئا صحيفة وفضائية ويتزوجها، وكل ذلك خدمة للوطن وللمصالح المتبادلة، وطارحها الغرام في سرداب الدير حيث طارحها ياسر الغرام

عمل ياسر في صحيفة أنطون شركس واهتم بأبي أرز ونشر له الشعر ثم جمع قصائده في ديوان وواصل علاجه عند طبيب نفسي حتى شفي وبدأ باستعادة قدرته على النطق. ووفى القناقي بوعده وجاء بسعاد وأمها، فنطق أبو أرز، فأحضر ياسر الشيخ حامد ليعقد على سعاد وأبي أرز وهو لا يدري بما جرى بين القنافي وجويل، وعملت سعاد في فضائية أنطون شركس، وتوالى نجاح أبي أرز، وأن أوان عودة جويل والفنيين إلى بيروت فودعت القناقي في الدير ونزلت معه إلى القبو كان اللقاء حاراً وحميماً على فراش من تين؛ لأنه كان آخر يوم أيضاً في دير الأب أنطون، هذا الدير الذي شهد أجمل أيام حياتها، وسردابه الذي أشعل رغباتها التي ظنت أنها لن تعود، وشهد أيضاً تناقضاتها وغموضها وضياع هدفها. ثم أخيراً ظنت أنه الهدف الذي تبحث عنه. لقد شهد السرداب أيضاً خيانتها لياسر. لم تعرف خباياها الغامضة إلا أمام خزنة المال التي قطعت تلك الخيوط الواهية، وكانت تظن أنها من فولاد، ولكنها كانت أوهى من خيوط العنكبوت. لقد اكتشفت أخيراً أن الزمن الآن هو زمن القناني بلا منازع، وأن السرداب الآن هو سرداب الرغبة والتغيرات المتوقعة .

أما الجزء الثالث (الحب في زمن التحولات المدهشة) :

فتقدم فيه لقطات متفرقة للمكان، فهذا موقع مشروع القنافي وجويل ووصلا إلى مكان قريب من "الروشة" فأراها البناء الضخم من الخارج، بعدها أطلعها على التفاصيل. وقد شاهدت آلات المطبعة في القبو، وهي جاهزة للعمل، ثم وصلا للطابق الأخير حيث مقر سكنهما، كان مطلاً على البحر مزداناً بديكور بديع وفرش جميل، أعجبت بالدار الرحبة ذات الغرف الكبيرة الزاهية، كل شيء فيها جديد ولامع، أكثر ما أعجبها الإطلالة البحرية(٢)"، لكن المشروع فشل وتخلى القنافي عن جويل، واتصل به السفير الأميركي لينفق معه على صفقة يستلم بموجبها حكم العراق ويكون عميلاً لهم، وجعلوه عضوا في حزب أو جماعة أو تنظيم شيطاني له معتقدات دموية غريبة (واتجها إلى ممر طويل في نهايته درج هابط، أوعزا الجبور أن ينزل إلى قبو كأنه سرداب نزل خطوتين. كان الدرج عريضاً بحده حائطان من اليمين واليسار ملطخان بدم قان وكأنه قد سفح لتوه. وعلى الجدارين جماجم الرؤوس بشرية خاف جبور منها، لكنه تابع النزول، فوجد إلى جانب الحائط اليميني وعلى كل درج من الأدراج رجلاً يشهر سيفاً مرفوعاً للأعلى وكأنما يهم بالنزول به ليقطع رأس جبور، وعلى الحائط اليساري شاهد رجلاً يحمل طشتاً وكأنه يريد حفظ دم الرأس الذي سيقطع ، وبعد طقوس الانتساب (أخرجه من باب جانبي، وصعدا للأعلى، كانت.....

تواصل الدكتورة سحاب شاهين نقدها المتعمق لروايات الكاتب عبد الغني ملوك، مستمرة على النهج نفسه الذي يسلط الضوء على المضمون العميق والأسلوب الأدبي الرفيع.

تتميز كتابات عبد الغني بالبراعة في السرد وتماسك الأفكار، حيث تخترق نصوصه السطح لتغوص في أعماق المشاعر والأفكار المكبوتة، مما يدفع القارئ للتفكير والتأمل في كل جملة وبين السطور.

هذا النهج النقدي للدكتورة شاهين لا يكتفي بتحليل النصوص بل يكشف عن الثيمات الخفية وراء العمل الأدبي، ويبرز تميز الكاتب في خلق عوالم سردية غنية ومتنوعة تعكس تجربة إنسانية عميقة ومؤثرة.....

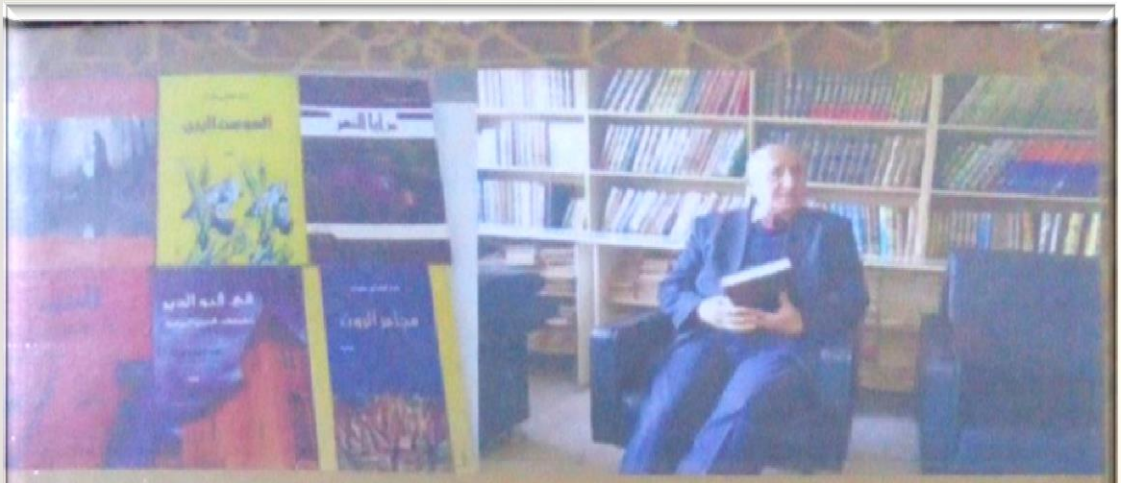

.....ظهر الروائي عبد الغني ملوك كنجم خلال الأزمة التي حيكت فيها المؤامرات على سوريا . ظهر بإضاءة مبهرة وقوة منقطعة النظير وقد أدهش القراء بفكره الجريء الذي حرك المياه الراكدة فانبثقت أفكاره توقظ الوعي على الصعد كافة وقد هاجم الفساد والفكر الساكن والنظرة المتخلفة للدين والتراث من خلال رواياته وعلى ألسنة أبطاله وله رؤية في مهام الرواية مختلفة عمن سبقه وقد جاء ذلك على لسان بطل الثلاثية ياسر الخوخة الذي قال

(... إن الكلمة الحارة بنت اللحظة الحارة . لا يمكن وضعها في علب السردين . على الرواية أن تعبأ بالفكرة المتمردة البكر والإبداع الخارق والنبض الحي العنيف وفي ذات الوقت عليها أيضا أن تفوح بطزاجة أعشاب السهوب البرية الشاسعة . إن الرواية تجديد للحياة وتغيير ثوري للبالي من القيم ولا يمكن لها أن تقوم بذلك إذا كانت طلاسم أو رموزا لا معنى لها ولا يشترط في الرواية التعقيد أو اللعب على الألفاظ إن للبساطة سحرها كما تسحرك أشجار اللوز المزهرة ورفوف العصافير على البيادر أو شذى البيلسان في الغابات الزمردية . إنها الصعق الخلاق الذي يعيد الحياة نابضة ..)
مجامر الروث ص٣٠

جاءت دراسة الدكتورة سحاب شاهين لروايات عبد الغني ملوك في اللحظة المناسبة والظرف المهم وهي دراسة شاملة وذكية وأحاطت وبشكل أكاديمي بإنتاج هذا الروائي المبدع

الناشر